

الإنسجام الدلالي في شعر العربي النيجيري "قصائد تجاني يوسف لاميط أنموذجاً"
(The Coherence of Meaning in Nigerian Poetry, the collection of Dr. Tijani Yusuf Lamido as a case study)

Ishaq Hudu Muhammad Bello
 Faculty of Arts, Department of Arabic language,
 Kaduna state university, Nigeria
 ishaqbell1970@gmail.com

Article
 Progress:

ABSTRACT

Submission date:
 01-12-2023
 Accepted date:
 20-12-2023

The paper aims to explain the (The Coherence of Meaning in Nigerian's Poetry). the collection of Dr. Tijani Yusuf Lamido was the model. The researcher discover how Nigerian society plays role on the author and give him an opportunity to collect these peace of poem, the paper examines The Coherence of Meaning In Dr. Tijani Yusuf Lamido's Poetry, Furthermore the paper explains and reveals that the work of this author and has been influential and saliently within and outside for his decades in simple manner approach and Coherence of Meaning. The paper uses qualitative approach and in the cause of the analysis of patriotism influence and love in the collection of the poems, data were sampled systematically. That lead the researcher to introduce the author to the readers.

Keywords: harmony, poetry, Arabic

المقدمة:

إن قضية الدلالة في الإبداع الأدبي لها أهمية، وذلك بأن الكلمات كلها حسنة في ذواتها، حتى يلحقها الكاتب في النظم، وكان ابن الأثير من القائلين بنظرية الحسن والقبح في ذوات الكلمات، وشأنه في ذلك مثل في الغرابة والتنافر أما الخطاب الأدبي فيصدر من الشاعر بقدر ملكته ، لأنه يخاطب الوجدان، والفرق بين الإستخدام الدلالي العادي والأدبي، يكمن في أن الأول يعتمد على الدلالي المباشرة ويحدث العقل وليس فيه حاجة إلى جهد عقلي أو فكري لفهم المراد منه. أما الخطاب الأدبي فيصدر عن ملكة عند منشئه، وهو يخاطب الوجدان، ويعتمد على الخيال، ويسعى إلى أن يعكس إحساس سامعيه ليدركوا الدلالات بألفاظ الشاعر مختارة ومعانيه المبتكرة. (الرجاني، أبو 1984م، ص: 38-45).

وهذه المقالة سوف ترصد الإنسجام الدلالي في بعض قصائد الشاعر إنطلاقاً من النبذة التاريخية له ثم عر بعض الشواهد من قصائد الشاعر: والورقة من النقاط الآتية:

ملخص المقالة.

المقدمة .

التعريف بالشاعر.

مصطلح اللفظ والمعنى عند النقاد.(الدلالة)

نماذج المختارة من بعض قصائد الشاعر

الخاتمة:النتائج والتوصيات.

التعريف بالشاعر:

وهو تجاني (الدكتور) بن يوسف لَامِيطُ، وأمّه حواء بنت شيخ، ولد يوم الأربعاء الثاني من شهر مَآيُو عام 1978م ، بحارة لِيَمَنْثَن كُونًا في مدينة زاريا.

بدأ تعلمه للقرآن عند والده الشيخ يوسف بن لاميط، وقد تتبع الكتابات والحلقات العلمية في مدينة زاريا وغيرها من المدن. أما بالنسبة لدراسته في المدارس النظامية، فقد حصل على الشهادة الإعدادية بكلية الدراسات العربية والإسلامية لجامعة نصر الإسلام، بحارة " قُوفَر كُونًا " في مدينة زاريا عام (1996م) وفي عام(1998م) حصل على المنحة الأزهرية حيث ابتدأ دراسته بالمرحلة الإعدادية مرة ثانية والثانوية بالأزهر الشريف (1998-2002م)، وحصل على شهادة الليسانس عام (2006م) بالجامعة نفسها. ثم التحق بجامعة الدول العربية حيث حصل على شهادة الماجستير عام(2011م) والدكتوراه عام(2014م)، في الجامعة نفسها. وله شهادات أخرى منها: شهادة الدبلوم في التربية بالأزهر الشريف (2013م) وشهادة اللغة الإنجليزية العامة (General English language) بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وشهادة في طرق التدريس في التربية (curriculum and educational methodology) بمركز كامل بالأزهر، وحصل أيضا على شهادة في العلاقات السياسية (Diplomatic relation)، وشهادات أخرى في مجالات مختلفة.(مقابلة شخصية مع الشاعر وأخيه الكبير حبيب يوسف لاميط، يوم الأربعاء 20/5/2023) .

وعمل محاضرًا بقسم اللغات الإفريقية جامعة القاهرة، من عام (2014-2011م) ثم عمل محاضرًا في قسم اللغة العربية، بجامعة بايرو، كنو، نيجيريا، (2016-2014م) ويعمل الآن محاضرًا في كلية التربية، قسم اللغة العربية، بجامعة أحمد بللو زاريا، نيجيريا.

مصطلح اللفظ والمعنى عند النقاد. (الدلالة)

إن قضية اللفظ والمعنى في الإبداع الأدبي من أكثر القضايا حضورًا في نقدنا العربي. وقد عالج علماء البلاغة ناحية الجرس باسم الفصاحة وسلامة الألفاظ والطلاوة، وغير ذلك من الألفاظ وتكون الكلمة فصيحة إذا سلمت من الغرابة، ومن تنافر الحروف كما يكون الكلام فصيحًا إذا خلا من تنافر الكلمات، وضعف التاليف والتعقيد اللفظي والمعنوي.

ويستنتج من ذلك أن الكلمات تكون حسنة وقبيحة في ذاتها، وهذا رأي أكثر النقاد كابن قتيبة وأبي هلال العسكري، والجاحظ، ولا يزال هذا الرأي يقول به جماعة من المعاصرين.

والمعنى هو المفهوم المقصود باللفظ وبالشئ عموماً، وقيل المعنى هو الصورة الذهنية من حيث تقصد من اللفظ كما يقول ابن خلدون إن صناعة الكلام نظاماً أو نثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني، وإنما المعاني تبع لها وهي الأصل. فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر، إنما يحاولها في الألفاظ يحفظ أمثالها في كلام العرب، ليكثر استعماله ويمرسها على لسانه، حتى تستقر له الملكة في لسانه، ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله، ويفرض نفسه، مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي، حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم ذلك. (داؤد، ص: 53).

وأما أصحاب المعاني فإنهم يؤمنون بنظرية ابن طباطبا التي تقول إذا تناول الشاعر المعاني التي قد سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يعجب بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه. (الجرجاني، د، ت ص: 26-22). وقد ذهب أنصار التأمل بين اللفظ والمعنى إلى أن هذه الوحدة قائمة على التكامل والتناسب إلى صور الجسد نفسه، فإن القصيدة مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر أو باينه في صحة التركيب ظهر بالجسم عاهة تحيف بمحاسنه ومعالم جلاله. وذلك كما يقول الدكتور أسامة هناك بعض الحكماء الذين يذهبون مذهب التكامل، ويرون أن الكلام الذي لا معنى (أي الدلالة) له كالجسد الذي لا روح

فيه، إذن فالكلام جسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه، فمرض اللفظ كالتشويه في الجسم ومع اختلال المعنى كله وهو الروح فإنه يبقى اللفظ مواتاً لا فائدة فيه. (داؤد، 2015م. ص: 54).

وقد أدرك الباحث أن قضية اللفظ والمعنى (أي الدلالة) في النقد الأدبي، بدأت منذ القرن الثاني الهجري كانت تسيطر على النقد الأدبي لها تأثيراتها المشهودة في معظم القضايا النقدية حيث بدأت بقضية السرقات العلمية، فقد يعتبر من يرون مناط التفضيل إلى اللفظ أن المعاني مباحة لا سرقة فيها، ويرى أنصار المعنى أن الألفاظ مباحة لا يعد من يحتذيها لصاً. ويتفق الفريقان بأن من أخذ اللفظ والمعنى لا يعد سارقاً. وحددوا عناصر الشعر في أربعة أشياء؛ اللفظ والمعنى والوزن والتقفية.

وكانت لقضية اللفظ والمعنى أثرها على متذوقي الشعر، فقد ذهب الناس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته، وهم قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته، على مذهب العرب من غير تصنع هو المراد عند المتكلم. نماذج المختارة من بعض قصائد الشاعر.

وكان شاعرنا تجاني يوسف يذهب مذهب التكامل، ويرى أن الكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه، إذن فالكلام عنده كجسد وروح، فجسده النطق وروحه معناه، وبهذا تظهر الدلالة واضحة: كما سنرى في نماذج المختارة في قصائد الشاعر.

إن قصائد الشاعر مجموعة من عناصر مترابطة بين الألفظ والمعنى، ومن هنا تتكامل الدلالة حيث يصوغها الشاعر، لتصور خبرته ومعرفته إزاء حدث نفسي أو كوني أو يومي، الحدث الذي لا تزال نفسه تنفعل به، وتهتز إزاءه في خطوط واتجاهات مختلفة، ويأتي ذلك عن طريق الإنسجام الدلالي ليظهر إحساساته وتصوره بالحدث في حقيقته، وصلته به من خلال حقائق الكون الشاملة. ومن ذلك قوله في قصيدة له بعنوان "السعادة في المولود" (لاميط، بدون مطبعة ولا تاريخ، ص: 3).

سعدت بك الدنيا أيا مولودنا طابت بك الأيام عن ذكراك

الفرح والنشوان عمّ جميعنا عربا وعجما كلنا حياك

والقارئ لهذه القصيدة يجد أنّ الشاعر يستخدم أسلوباً جذاباً في قوله "سعدت بك الدنيا" و"طابت بك الأيام" إشارة إلى أن الدنيا وأيامها حسنت وتنورت بظهور نور محمد صلى الله عليه وسلم، الذي اخمد ظلام الجهل والكفر،

ولهذا عمَّ هذا النور الثقلين الإنس والجن، وجعل الناس من العرب، والعجم في الفرح والسرور، قد استطاع الشاعر صياغة معانيه في ألفاظه المختارة ليظهر أحاسيسه وأفكاره.

والشاعر لا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده، يقول فيه المعنى الصحيح باللفظ الصحيح، بل ينظر إلى جمال البيت في ذاته وفي موضعه وإلى جملة القصيدة في تركيبها وفي ترتيبها وفي تناسق دلالات ألفاظها وتوافقها، مع دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر.

ثم انسجم دلالاتها بألفاظه الجذابة، واستمر يقول بعد مولده صلى الله عليه وسلم جعل الناس ياتون لرؤيته يتعجبون بأمره، عند قوله "فالناس فوج بعد فوج قادم". (لاميط، مصدر سابق، ص: 8).

فالناس فوج بعد فوج قادم ورجاء كل منهم ليراك
إلى أن قال

لم لا وقد سميت باسم محمد بأشرف اسم فيه سر علاك
وأبوك معروف بكل محامد أهل لقرآن وفيه علاك

ومن علامات نَفْسِ الشاعر استخدامه الألفاظ متلائم بموضوعه واضح في قصيدة له بعنوان "حب الوطن واجب". (لاميط، مصدر سابق، ص: 5).

نعم البلاد بلادتي يا حبذا بنقائها
والمطر ينزل فوقها يجري على أرجائها
والزرع ينبت دونها يهتز فوق ترابها
أما بحار بلادتي أعذب بكل مياهها
وترى البواخر مارة بالناس عبر بحارها
يا سائل عن ثروة الـ نيجريا، وثرواتها
نפט وزرع والمعا دن تلك من ثرواتها
وصناعة وتجارة قد تنجلي برحابها
بلد الثقافة إنه مثل على أخواتها
انظر إلى أرجائها ماذا ترى لنظامها

من بهجة لبنائها وتلائم لديارها

إلى أن قال

بلدي أحبك بلدي أسعى لأجل صفائها

لم لا؟ وأنت سعادتي هديني كمال نمائها

تظهر نزعة الفرح والسرور واضحة عند الشاعر هنا، لما أراد أن يتلقف مظاهر الطبيعة ومكوناتها في بلده نيجيريا، و استعمل كلمات " نعم البلاد " و " يا حبيذا " دلالة على البهجة والسرور لدى الشاعر .

ثم يمضي في قصيدته يذكر ظواهر طبيعية كالطر، الذي يسبب نبات الزرع ، ويهتز النبات فوق الأرض ، وحتى شخص الشاعر النبات بحي كائن و جعلها تتحرك كما يتحرك الكائن الحي .

وهذا يدل على كفاءة اختيار الشاعر للألفاظ التي تليق بمعانيه من حيث دلالاتها ، كما قدم المطر ثم نبات الزرع ، لأن الزرع لا تنبت إلا بعد نزول المطر، ومما يؤكد براعته وفكرته ووجدانه الموضوعية ، ذكر البحار بعد ذلك، هي لا تجرى إلا بغزارة ماء السماء .

ولجأ الشاعر إلى التعجب عند قوله " أعذب " دلالة على لذة مياه البحر في نيجيريا، يستطيع شرايها بغير تصفية .ومما التفت إليها الشاعر " البواخر " ظهر لنا كيف تجري البواخر بالناس فوق الماء، شبه الشاعر البواخر بحي كائن ، وجعلها تمر بنفسها فوق الماء، وليست هي التي تمر بنفسها، بل السائق هو الذي يمر بها، وأطلق على الباخرة وأراد به السائق في قوله:

وترى البواخر مارة بالناس عبر بحارها

واستعان الشاعر في قصيدته بأسلوب "الحوار" يجيب لسائله عن ثروة النيجيريا في قوله

يا سائلي عن ثروة الد نيجيريا وراثها

كل هذه الوقفة تجعل إنتباه السامع تلفت النظر إلى دولة نيجيريا. فذكر أنواع ما عند النيجيريين من النفط، والزرع، والمعادن، بعد ذكر أنواع المعادن ثم ذكر ما اشتهرت به أهل النيجيريا وهما التجارة والصناعة، يعبر بألفاظه السهلة، ثم أظهر نظام البناء في المدن حيث تراها تلائمت بعضها ببعض، في أسلوب شعري .ومما يؤكد وجهة النظر في هذه القصيدة، أظهر الشاعر مرة ثانية عاطفته الصادقة لدولته النيجيريا في قوله.

بلدي أحبك بلدي أسعى لأجل صفائها

شخص الشاعر البلد وكأنها حي كائن يتكلم معها ، ويقول " بلدي أحبك . " واستعان بأسلوب الإستفهام ليثبت شعوره وانفعاله إلى نيجيريا بقوله "لم لا؟" ، ولأمثال هذه الوقفة يهتز بمشاعر السامع أو القارئ بإحساسه بمشاعره الفياضة بافداء نفسه لتنقية نيجيريا عن الفساد.

لم لا ؟ وأنت سعادتي هدي كمال نمائها

واستخدم كلمت لم لا؟ في هذا البيت ، وهي أداة من أدوات الاستفهام، والأصل فيه طلب الإفهام والاستفسار لمعرفة شيء مجهول لدى المستفهم أو السائل؛ ولكن الشاعر هنا استخدم ذلك ليجعل المخاطب يقر ويعترف فحتوى السؤال.

ومن طبيعة الشاعر إذا لم يرد التصريح بالمعنى يقصده، فإنه يتخذ للإشعار به أسلوبا غير مباشر . بحيث يجعل المتلقي هو الذي يعبر بنفسه عن المعنى، أو يدركه بنفسه ولو لم يعبر عنه بكلامه. والطريق السهل للوصول إلى هذه الغاية، أن يطرح الشاعر على المتلقي جملة استفهامية مواجهة توجيهها خاصا . ويحيطها بقرائن تجعله يدرك المعنى بنفسه، سواء عبر عنه بالجواب أو لم يعبر.

ولما كانت المعاني التي يمكن الإشارة إليها من طرف خفي كثيرة جداً، يمكن استدعاؤها إلى الذهن عن طريق طرح السؤال الذي لا يصح فيه بالمراد . كان من الأمر الطبيعي في الكلام أن يصاغ فيه جمل استفهامية محفوظة بقرائن الحال أو المقال، بغية استدراج المخاطب لإدراكها، وقد يصرح في جوابه بما أدرك من معنى، أو يكفي بإدراك المراد، ويعلم أن السؤال قد طرح لمجرد إفهامه الغرض من السؤال.

وقد حاول الشاعر وعمل جاداً على أن يتحول بكثير من قصائده إلى تعبير تأملاً عن نفسه وأحاسيسها الداخلية، تعبيرا متكاملا، فهي بناء تترابط عُمُودُهُ وأركانهُ وتتلاحم ألفاظهُ مع معانيهِ وأجزاؤهُ،.وعبر عن عالمه النفسي والذهني .فقصائده صورة عصره ونفسه وكل منها صورة فريدة لنفسه، تعبر عن خبرة له هو ولم يشركه أحد فيها، خبرة تبعث من قلبه، وصاغ فيها أحاسيسه وأفكاره بألفاظ سهلة ومعانيه واضحة . كما نشاهد في قصيدة له بعنوان " وما أدراك ما الحب. " ((مرجع سابق، ص:3) .

أيا من ظن أن الحب رق وقولك صح كم من حب مات

أراني في الثبالة بالمحبة أسير بالهوى أقضي حياة

ومالي لا يلذ بي الطعام ولا طعم الشراب ولو فرات

وواضح أن أبيات الشاعر يتحدث عن داء الحب الذي أضنى قلبه وآخر أضنى جسده هما داء المرض والحب، وتلك هي الحالة الوجدانية التي نبعت منها أحاسيسه في القصيدة، وهي أحاسيس ظلت تضغط على نفسه حتى لا يتلذذ بطعام ولا بماء الفرات، واستغرق جميع حياته في المحبة. إن الشاعر على إدراكي أنه لا يمكن الفصل بين الجسم والروح عنده، وكذلك لا يمكنه الفصل بين اللفظ والمعنى في تكوين الدلالات.

كما يرى القارئ في قصائد الديوان لشاعر أنه يتصرف بألفاظ ليلفت أنظار المتلقي في جميع أغراضه الشعرية، وعلى سبيل المثال في قصيدة له بعنوان "الحب شيء طبيعي" ترى كيف يؤثر الشاعر في وجداننا ويلهب بعواطفنا، وهو يشكو فراق الأحبة ويقول: (المرجع السابق، ص:3).

إذا بفراق قد هجرت بلادي إلى مصر بحثا عن كنوز المعاليا
بكنني غداة البين حتى بكيته وسال دموع من عيون مواشيا
وأكلي وشربي لا يلد بغيرها كذاك إذا أمشي أراها، أماميا

يهدف الشاعر هنا إلى إبراز معاناة العشق، فانزاح إلى أن يمنح لغداة البين صفة البكاء، وهي صفة إنسانية، وذلك لم يزل يبكي لما يتألم به من ذلك العذاب، ثم شخص الحب إنسانا آخر يمسك قلبه، لأنه لا يزال في البكاء غداة مساء. وهكذا كان شأن الشاعر يستطيع أن يفجر ينابيع العاطفة الصادقة في قصائد الديوان في ألفاظه ومعانيه المنسجمة، وهذا تصور يدل على مدى ما يكابده الشاعر لفراق الأحبة يجعل المتلقي يلطف بالشاعر لما ظهر عنده من صدق عاطفة وقدرة فائقة على تركيب ألفاظه ومعانيه يتلقفها المتلقي في دلالات يريدها، ومما يجعل المتلقي تلطف على الشاعر في قوله: (المرجع السابق، ص:3).

ويا برق خذني وارمني بجوارها أراها تراني يغمر الفرح كليا
ولي وقفة بالنفس كي أتساءل فهل لي حياة من سواها فماليا

وهذان البيتان يدلان على مدى طول فراق الشاعر بمحبوبته ومدى تألمه لعدم اللقاء بمحببته، وطموحاته إليها، وهكذا كان يستخدم ألفاظا مطابقة للمقام.

الخلاصة:

تخلص إلى ما يلي:

قد اكتشف الباحث أن تجاني يوسف استطاع ببراعته الفنية أن يغوص في اختيار الألفاظ لإنسجامة الدلالي في إبداعه الأدبي.

واهتم الشاعر بهذه الظاهرة كوسيلة الإقناع في مجتمعه النيجيري، حيث استخدم بعض الألفاظ في قصائده لتوكيد أهمية ما توحى إليه تلك الألفاظ من الدلالة لتعينه في إيجاد رابطة متماسكة بين أبياته.

واستطاع الباحث إظهار الإنسجام الدلالي الذي يريد أن يوصلها الشاعر للمتلقي.

ابرز الباحث كفاءة الشاعر في إنسجامة الدلالي بين الألفاظ الذي يريده الشاعر.

تتبع الباحث هذه الظاهرة في النماذج المختارة ليتمكن له تحليلها من القصائد.

وقد وصلت الورقة إلى ما يدل على مهارة الشاعر عن طريق الأمثلة المتوفرة وتحليلها، الأمر الذي ساعد إلى تقديم الشاعر للقرءاء الأعزاء.

المصادر والمراجع:

- 1- لاميط، تجاني يوسف، ديوان محاولات شعرية، نيجيريا، بدون مطبعة ولا تاريخ.
- 2- مقابلة شخصية مع الشاعر وأخيه الكبير حبيب يوسف لاميط، يوم الأربعاء 20/5/2023.
- 3- الجرجاني، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1984م.
- 4- داؤد، أسامة محمد جمعة، تاريخ النقد الأدبي القديم، ط1، السودان، أمدردمان، 2015م.
- 5- جلال الدين، السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ط1، القدس للنشر والتوزيع، 2009م.
- 6- عبد الباقي لاشين، كمال، تذوق الشعر، ط2، درة الغواص، لنشر مكنون العلم ومصونه، شركة مقيدة لدى وزارة الاستثمار والتعاون الدولي وعضو اتحاد الناشرين المصريين، 1999م.